كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج

حـــول المـــذود

القس

لوقا سـيداروس

كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج

حـــول المـــذود

القس

لوقـا سـيداروس

قداسة البابا شنوده الثالث

قداسة البابا شنوده الثالث

مقـــدمة

كلما أقبلت أيام الميلاد ، تهللت الخليقة كلها بمجيء المسيح مخلص العالم ، كلمه الله ، إبن الآب ، الذى به كان كل شيىء ، وبغيره لم يكن شيىء مما كان .

ومن القواعد الثابتة فى سلوك الانسان ، الفرح عند الميلاد ، فالناس تسمى الميلاد « بالحدث السعيد » ، والفرح بالميلاد نبع أصلاً من توقع الانسان وانتظاره لميلاد المخلص ، منذ سقوط ابينا آدم وامنا حواء ، وهم ينتظرون نسل المرأه الذى يسحق رأس الحيه ، وهكذا الاباء والأنبياء كم ترجوا وانتظروا تكميل المواعيد وحين نظروها من بعيد حيوها وماتوا على رجاء تكميلها .

إسمع اشعياء عظيم الأنبياء يقول لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرئاسه على كتفه ويدعى إسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً ابدياً رئيس السلام ولما جاء ملىء الزمان ، وكمل وقت التدبير الالهى لكى يولد المسيح ، ويظهر الله فى الجسد فى سر التقوى العظيم غير المتطوق به ، لما جاء ملىء الزمان تهللت الخليقة كلها بأعظم ميلاد فى تاريخها . لأنه ميلاد بدون زرع بشر ، ميلاد بتولى ، لأن المولود من الأب قبل كل الدهور ولد فى جسم

البشر ، وصار فى الهيئه كانسان وإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضا فيهما .

وبميلاده العجيب فى الزمن ، صار ميلاده محوراً للزمن ويوم ميلاده صار نقطه ارتكاز الزمن والتحاق بالأبدية .

وانقسم الزمن بميلاده ، ماقبل الميلاد ، ومابعد الميلاد كما يفصل شروق الشمس بين الظلمة والنور الليل والنهار ، ماقبل الشروق ومابعده .

وكلما عيدنا بالميلاد تعطرت الأجواء الروحية بعطر تسبيح الملائكه وخطف بريق الطهاره والعذراويه أبصار المتطلعين الى بيت لحم والمذود والمغاره التى اضطجع فيها طفل المذود الاله الظاهر فى الجسد ، الذى وحَّد السمائين مع الأرضين وصالح الاثنين فى جسده الواحد .

وبميلاد المسيح ، فى جسم البشر ، دعى إبن الانسان ، إبن البشر ، فتشرفت البشرية باعظم نبوه ، واقتحمت الحياة التى فى الله دائره الموت التى فى الانسان فابتلع الموت الى غلبه كقول هوشع النبى .

ومهما امتدت السنون بالبشرية ، وتوالت بعددها التعبير لميلاد الرب فى الجسد مع ما فيها من تأملات وعظات أو كتبت كتب

ومقالات ، ومهما فسر المفسرون والشراح فى الشرق والغرب فلن يأتوا على مافى الميلاد من نعم وبركات مذخره ، وأسرار تشتهى الملائكه أن تطلع عليها ، لأن ميلاد الرب من البتول يُدَرِكْ ويُعاين ولكن لايدرك كماله اذ هو مختص بالله اللانهائى وتدابيره التى علت عن فكر البشر كعلو السماء عن الأرض وبين يديك .

أيها القارىء العزيز تأملات قليلة تمس ميلاد الرب فى بساطه وهدوء ، نرجو بها . أن نقترب إلى مذود الرب ونحسب مع الساجدين له بالروح والحق .

القس لوقا سيداروس
عيد الميلاد المجيد ٢٩ كيهك سنه ١٧٠٤ للشهداء
٧ يناير سنه ١٩٨٨

١ ــ حـول المذود

حول المذود (من داخل سجن المرج يناير سنة ١٩٨٢)

ربى يسوع اقبلنى اليوم مقتربا الى المذود الطاهر .. وفى هذه المره ــ ليس كباقى المرات التى حاولت الاقتراب الى المذود كلما دنت ذكرى ميلادك البتولى ــ فى هذه المره اقترب اليك بفعل نعمتك التى أوصلتنى الى هذا المقام القريب من المذود ليس بالمجهودات البشرية ولا بالتقوى والأصوام التى أمارسها واقدمها لك بحب وعباده وأنت تقبلها كرائحة بخور كنيستك. ولكن قربى من المذود فى هذه المرة هو قرب لا إرادى ــ هو عطية ومنحه بلا مقابل منى وبلا جهد مبذول يذكر سوى الاستسلام ليدك تقربنى إلى مذودك بسر لا أستطيع أن أعبر عنه .

إذن ياسيدى أنت تقترب بى إلى المذود لكى اكتشف اليوم سره العجيب.ما أكثر الكتب التى تتحدث عن المذود وما أكثر التأملات التى دارت حوله، وبقى مذودك ياسيدى لغز روحانى ادركه كل واحد من احبائك ولكن ظلت كمالات أسراره أعلى من علو الانسان وأعمق من عمقه .

اليوم وأنا سجين لأجل اسمك ــ إن جاز لى ان استخدم هذا التعبير ــ اشعر أنك تشركنى عملياً فى مذودك بكيفية فريده .

كنت أتكلم عن الفقر والعوز والمكان الحقير والظروف التى حوطت ميلادك الطاهر ولكنى كنت أتمنى أن اشارك ليس بالعطاء والمشاعر ولكن بالفعل . وهاأنا اعتبرها اليوم فرصه لاتعوض فى حياتى .. إنك تشركنى فى بركه المذود بالفعل .

ربى يسوع .. اليوم أدرك ياسيدى سر الفرح الذى يغلب الآلام ويتخطى الأحزان ، الفرح الذى ينبع فى الداخل بينما الخارج ضعيف ومهان ومحفوف بالمخاطر .

+ إقبلنى ياسيدى ساجداً .. اشعر بصغرى وحقارتى كلما دنوت من المذود لا أستطيع سوى أن أسجد كثيراً .. ليس لى قوه على فعل أكثر من هذا .. تتحرك احشائى .. انفعالات كثيرة تغلى فى داخلى .. فرح وبهاء واشراق جديد مزيج عجيب كأنه من ذهب ولبان ومر .. لا أستطيع أن أضبط قوه ، وكل هذا يقودنى تلقائيا الى سجود متواتر أمام المذود . الدهشه تملك علىَّ كلما تطلعت بلمحه خاطفة الى بهاء وجه يسوع الهى المولود اليوم فى مذود .

ربى يسوع اجعل نعمه السجود تدوم فىَّ وتنمو كل يوم بل وتكون حقيقة نابعه من عمل نعمتك فى داخلى فى كل صلاة .

+ طال انتظار الخليقة ياسيدى لميلادك البتولى .. حملتك العذراء القديسة فى احشائها تسعة شهور كامله وفى الحقيقة المقابلة كانت البشرية كلها تتمخض خمسة آلاف وخمسمائة سنه .

+ أنت مولود العذراء .. أبنها، وأنت مولود البشريه .. ابن البشر .. ابن الانسان.

منذ القديم والناس يتوقعون ميلاد الأطفال بالفرح ويعتبرونه حداً سعيداً جداً . كأن الفرح بميلادك كان متجذراً فى قلب البشرية كلها ، فالفرح بميلاد أى طفل يستمد قوته من الفرح بميلادك .

+ البشرية وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكنها لاتعود تتذكر الشده بسبب الفرح بميلادك يامشتهى الأجيال .

+ اسمح لى ياسيدى بحق حبك الذى سكبته فى قلبى — إسمح لى أن أجرؤ إلى الاقتراب أكثر لكى أحملك روحيا بين ذراعى رغم ضعفى وخطاياى الكثيرة . بل اننى اعتبر أن مجرد التلامس معك يامولود المذود هو الطريق للتطهير من كل دنس النفس والروح .أحملك روحياً وأعانقك عناق طويل واتنسم رائحة الحياة الأبدية .. بالحق ان الحياه الأبدية التى كانت عند الآب قد أظهرت .

+ ربى يسوع إنك بالحقيقة فى المذود مقمط باقماط بيد العذراء القديسة مريم .. الأم الجديدة .. أم كل حى بالروح .

أننى لا أتخيل أن احداً يستطيع أن يقترب لكى يحملك دون أن تكون أذرع العذراء هى الوسيلة .. هى تحملك وتقدمك للبشرية كلها . الذين يسعون اليك فى ميلادك يتمتعون ببركة العذراء الحانية الجالسة تحملك بجوار المذود .. هى الأم والعرش تحملك فى حجرها والملائكة الذين كانوا يسبحون خالقهم فى بطنها يظللون عليها وهى حاضنه وليدها الابن الكلمة المتجسد .

اذن العذراء هى الشهاده الحيه على حقيقة التجسد قائمه الى جميع الأجيال لتطوبها.لأن المولود لم يأخذ جسداً خيالياً ولكن قبل أن يتحد بطبع البشر اتحاداً كاملاً.وثمه سؤال يتبادر الى الذهن هل يجرؤ أحد أن يحمل طفل المذود أو يقترب إليه دون أن يقترب إلى العذراء الأم ويحتضنه من يدها ؟

إن من إستحقت ان تحمل ابن الله فى احشائها وتلده وتحتضنه طفلاً رضيعاً تستحق بالأحرى أن تقدمه لكل من يسعى بالروح طالباً نحو المذود ليحتضن الخلاص ويتحد بالمولود،وليس هذا فقط لأنه مكتوب .. كانت واقفات عند صليب يسوع مريم أمه فهى أيضا بجوار الصليب .. هى أم المصلوب، وحيثما وجد الصليب فان العذراء القديسة توجد واقفه بجواره .. هى معينه

وشفيعه وسندنا عندما نقترب إلى الصليب أو يقع علينا ظل الصليب .. إن تاريخ الشهداء يشهد ان العذراء كانت رفيقتهم وسندهم فى الشهاده للمسيح .

على ذلك تكون العذراء هى أمنا على طول طريق رحلتنا من المذود الى الصليب ومن يوم ميلادنا فى المعمودية الى يوم أن نقول للآب « فى يديك استودع روحى » .

المذود الجديد :

لقد تحققنا عملياً من أنك عندما تشرق تنير ظلمه الماده وتضفى عليها جلالاً من بهاء وجهك، فطالما تخيلت المذود وماكان عليه المكان الذى ارتضى إبن الله ان يتنسم فيه أول نسمات البشرية فى جسده الحقيقى .. كم كان المكان حقيراً حقاً ولكن ما أن دخلت اليه ياسيدى حتى اكتسب كل شىء جلالاً وبهاءً الهيا وتألقاً أبدياً .

صار المذود عرشاً لابن الله .. وتصاغرت إلى جواره العروش الأرضية بكل بريقها الكاذب .

إذن السر هو فى حلول عمانوئيل فى المكان مهما كان المكان حقيراً أو مهملاً أو متواضعاً .

أقول قد تحققنا هذا عمليا عندما ابتدأنا نعد العده فى داخل

السجن للاحتفال بحلولك فى وسطنا مولوداً ومصلوباً وكائناً على المذبح خبزاً حياً ودماً حقيقياً. المكان لا يليق مطلقاً .. عنبر فى داخل سجن .. أسوار وأسوار .. كم احتوى هذا المكان من مجرمين وأشرار، كم تدنس بقذارات الطبيعة البشرية فى أسفل مداركها وفى احط مستوياتها .

ترى ما هذا الذى يحدث .. قداس داخل هذا المكان — شيىء لا يصدقه العقل حقيقه . فالمكان حقير من كل ناحية .. حقير فى معناه وفى مبناه والامكانيات المتاحه غايه فى البساطه والأتضاع .

بهذه الامكانيات بدأنا فى اعداد المذبح .. ليس أمامنا سوى بعض اقفاص جريد وبعض علب كرتون كانوا قد أحضروا لنا فيها بعض الفاكهة ، اجتمعنا بفرح شديد أساقفه وكهنه حول هذه الأقفاص نربطها بعضها الى بعض ونصنع منها مذبحاً للرب .

لست أدرى هل وجد مذبح فى تاريخ الكنيسة كلها بهذه الكيفية وفى مثل هذه الظروف ؟ .

ولكن السرور الذى عشناه ساعتئذ كان سروراً غامراً عندما رأينا هذا المذبح التاريخى يبنى وكأننا نبنى مذبح الرب المنهدم فى أيام ايليا الجديد، كم كان هذا المذبح شديد الشبه بالمذود أو قل إنه مذود القرن العشرين حينما جاء وقت ميلاد الرب فوجد أولاده

فى هذا المكان فسر أن يولد بينهم بهذه الكيفيه ليؤكد للكنيسه أنه هو هو أمس واليوم والى الأبد وأنه فى وسطها قائم يعين وجهها ويشرق عليها حتى وهى فى غياهب السجون .

ثم فرشنا المذبح بلفائف حرير .. ما أجمل المنظر بساطه وجلال يظللان المكان ... العبره إذن ليست بالمبان المزينه والكائدرائيات الفخمه .. الرب يسوع يحل فى أى مكان .. فى أحقر مكان .. يشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ويبدد الحزن والكآبه ، والملائكة تهتف بميلاده تبشر بفرح عظيم يكون لجميع الشعب .

ثم قدمنا الحمل .. وانسابت الحان ورفعت صلوات القداس الالهى وكأننا لأول مرة .. المسيح يولد بيننا .. يولد لنا ولد ونعطى إبناً .. القداس جديد .. جديد جداً فى كل شىء .. كلماته لها طعم خاص مبهج جداً للنفس .

اختلطت دموع الفرح مع دموع التوبة والحنين إلى المذبح .. لم يستطع أحد أن يخفى دموعه لأننا داخل أسوار السجن ليس لنا حياه خاصه بالمعنى المعروف فنحن نعيش فى حياه شركه تطغى على خصوصياتنا دون أن نريد ذلك .

وتقدم الجميع للأسرار .. يأكلون الحياة ويشربون الدم الذى بروح أزلى يقدس الذين يتقربون به الى الله .. ماأعمق حبك

ياسيدى الرب الذى به افتقدتنا بالحق مشرقاً من العلاء لتضيىء للجالسين فى ظلمه السجون .

وقد زاد الموقف جلالاً أنه سمح للمسجونين (غير المتحفظ عليهم لأسباب دينيه) أن يشتركوا معنا فى القداس فى زى السجن العادى .. لقد ضاعف وجودهم سرورنا بالحق واحتفلنا بالمسيح المولود من أجل الضعفاء والخطاه « صادقه هى الكلمه ومستحقه لكل قبول أن المسيح يسوع جاء ليخلص الخطاه الذين أولهم أنا » .

٢ ــ تأملات فى الميلاد

(عيد الميلاد سنه ١٩٨٦)

بين ذكرى الميلاد وعيد الميلاد :

لم نأت الى الكنيسة فى قداس الميلاد لنصنع تذكاراً لميلاد السيد المسيح ، فعادة الناس إذا اجتمعوا ليحيوا ذكرى زعيم أو عظيم من عظماء العالم أن يراجعوا التاريخ ويستجمعوا الذكريات من الكتب والمؤرخين ، ويتبادلوا الكلمات والخطب ليعيدوا إلى ذهن المستمع مآثر الراحل وأعماله العظيمه ومواقفه ويصوروا شخصيته .. إلى آخر هذه الأمور .

قد يجتمع الألوف حول هذه الذكرى وقد تتكرر هذه التذكارات سنين وسنين ، وقد تدوم ذكرى انسان ربما مئات السنين وقد يتذكر المجتمع البشرى بطل من أبطاله الآف السنين ، والكلمة السائدة فى هذه التذكارت .. المتكرره دائما « كان رحمه الله » .. كان رجلاً .. كان عظيماً .. ويجتمع المحتفلون وينفضوا ثم يجتمعوا فى مرات أخرى وينصرفوا حول التذكارات والذكريات والمواقف .. أما شخص المحتفى به فيكون قد غاب عن كيان

المجتمع قد واراه التراب ، اختفى عن الأبصار .. وخلف لمجتمعه مجموعة من الذكريات ..

+ إحتفالنا فى ميلاد المسيح يختلف جوهرياً عن هذه التذكارات .

نحن نجتمع فى الكنيسة لا لنتذكر أموراً خاصة بالسيد المسيح وميلاده البتولى وآياته وعجائبه وموته وقيامته .

نحن نجتمع حول شخص المسيح الكائن فى وسطنا « إن اجتمع أثنين أو ثلاثة بإسمى هناك أكون فى وسطهم » « أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر » .

لم نأت لنتذكر إنساناً عاش زماناً ثم مات وانتهى ولم تبق سوى ذكريات وتواريخ حاشا فالمسيح الذى ولد منذ ١٩٨٦ هو هو امساً واليوم وإلى الأبد ، نحتفل به وهو قائم فى وسطنا ، موجود هنا ، حال فينا وبيننا ، إسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا وهو بذاته قال أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر .

إذن هو احتفال بالمسيح الحى الكائن ، هو وجود معه ، فنحن نعيد له بحضوره ، ونحن نراه بعين الايمان متأكدين من ذلك غير ناظرين إلى الأمور التى ترى بل إلى التى لاترى .

هو قائم فى وسطنا ، حضوراً حقيقياً ، بعيداً عن الرمز والمجاز

والتشبيه ، هو الحق ذاته ، وهو الحياة وهو كائن معنا على المذبح، بجسده ودمه الأقدسين حاضر كل حين، هو حال بالايمان فى هيكله الذى هو الكنيسة وفى كل عضو فى الجسد « ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم » .

المسيح فوق الزمان : ان كل انسان يموت يطويه الزمن ويحتويه القبر ، ولا يعود يرى أو يتراءى كما كان قبل الموت .

أما الرب يسوع فهو فوق الزمان .. هو إله الزمن هو ولد فى ملىء الزمان ولكن لايحتويه الزمن هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ، الذى كان والكائن والذى يأتى ..

لذلك فلا عجب إن كان قد احتفل بميلاده مما يقرب من ٢٠٠٠ وها نحن نحتفل به اليوم ، وسيحتفل من يأتى بعدنا إلى آخر الأزمنة . ذات الاحتفال وبحضور المسيح كما هو لا يتغير ، لأنه غير الزمنى ، هو الكائن فى كل زمان ، قبل أن يكون ابراهيم هو كائنٌ منذ الأزل وإلى الأبد ، ملكوته ملكوت أبدى وسلطانه مالا يزول .

المسيح غير المتغير :

مسيحنا اليوم هو مسيح المذود ، بلا تغيير ، لأنه ليس عنده تغيير ولا شبه ظل دوران ، هذه هى عظمه المسيحية أن ليس فيها ماضٍ عبر أمستقبل يجىء .. المسيحية ترتكز على شخص

المسيح ، والمسيح لايتغير .

لذلك كل من يحتفل بالروح فى هذه اللحظات .. يستطيع أن يتمتع بذات النعمة ، نعمة حلول المسيح فى وسطنا وميلاده من العذراء القديسة ، ووجوده فى المذود .

المسيح حاضر فى وسط الكنيسة . الآن ، ومن أراد فليقبل اليه ، مع الرعاه البسطاء لينال ذات الرؤيا « طفلاً مقمطاً مضطجعاً فى مذود .. غايه فى البساطه .. تستطيع أن تتمتع به ، مولوداً من أجلك ، تحمله ، وتقبله ، وتفرح به فرحاً عظيماً جداً بلا أى مانع أو عائق لامن الزمن ولا من المكان .

نحن مدعوون أن نعيش مع المسيح الذى جاء متجسداً من أجلنا ــ هذه امكانية المسيح ــ لأنه شاركنا فى كل شىء .. اذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً فيهما .

والحياة بالمسيح وفى المسيح ليست تخيلات أو أوهام أو أموراً نظرية مبنيه على الفكر والعقل .

لأن الرب يسوع هو الحياة ذاتها .. « من له إبن الله له الحياة » ، احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بربنا يسوع المسيح » .. لى الحياة هى المسيح ماأحياه الآن أحياه فى الايمان .. ايمان ابن الله الذى احبنى واسلم نفسه لأجلى » .

المسيح يتوزع ولا ينقسم :

نحن نؤمن بمسيح واحد .. « الكلمه صار جسداً » واشرق جسدياً من العذراء بدون زرع بشر .

إننا نحتفل بميلاد المسيح فى أماكن متعددة فى ذات الوقت ويكون المسيح قائم فى الوسط ، فى كل كنيسة حيثما يجتمعون باسمه ، مثل الشمس حين تشرق ، تدخل إلى أماكن كثيره بلا عدد ويستطيع أن يتمتع بها كل واحد فى بيته على انفراد .. وتبقى الشمس غير محصورة فى المكان .

جميع المسيحيين يتناولون المسيح فى سر الافخارستيا ، وكل واحد فينا ــ على حده ــ يأخذ المسيح الواحد غير المنقسم .. بصفه شخصيه ، يدخل المسيح اليه ، ويبقى المسيح الواحد غير المنقسم غير المحصور فى المكان .

لا تصير الشمس ملايين الشموس حين تدخل الى ملايين البشر ولاتنحصر فى الأماكن التى تدخل اليها وفى نفس الوقت يكون دخولها دخولاً حقيقياً لابالرمز ولابالمثال بل بالحق والحياه .

هكذا ــ مع الفارق ــ يدخل المسيح ويحل فينا ــ فوق كل المذابح فى آن واحد ، ويتناوله ملايين المسيحيين ، وهو هو الحياة

بغير انقسام والوجود المطلق الذى بلا حدود وبلا قيود هذا هو العيد بالنسبة لنا ــ قبول الحياة التى هى المسيح والتنعم بها والفرح الكائن فى الوجود معه وبه وفيه .

لماذا ولد فى مذود ؟

هذا عمل من أعمال التدبير الالهى ، أى أن هذا يعد أحد المقاصد الالهية من جهة خلاص الانسان .. كان ممكنا للرب أن يولد كسائر الناس فى ظروف طبيعية من جهه المكان وسط الامكانيات ، وان كان لابد أن يولد كأفقر البشر كتدبير الاخلاء الكامل كان ممكنا له أن يختار أفقر البيوت وأقل مايحيط بظروف الولاده من كماليات . ولكنه وقد إختار هذا الطريق الوحيد فى نوعه والفريد فى شكله وموضوعه ، فلابد أن سر المذود يكون أعمق بما لايقاس من ذهن البشر وفكر الناس .

+ على هذا نعلم أن المذود لم يأت مصادفه ولكنه ترتيب وتدبير قد سبق الأزمنة والدهور كلها فالميلاد فى المذود هو من أجل كل واحد ، ولابد أن يقبل الانسان مسيح المذود كما هو . والواقع أن أخطر مايواجه الانسان فى طريق خلاصه هو قبول المذود ، الذى يعتبر بحد ذاته أكبر علامة على الاخلاء وانكار الذات ، والاتضاع .

المذود هو طريق الشفاء الوحيد من داء الكبرياء وتأله الذات البشرية .

ولكن كيف يتلامس الانسان مع المذود ؟ لابد من الواقع العملى .. فالكلام عن المذود شيىء والدخول اليه شيىء آخر والمذود مثل الصليب تماماً ، الكلام عن الصليب نظريا شيىء وحمل الصليب عملياً شيء مختلف تماماً .

هلم أيها الحبيب نسعى إلى المذود لكى نتلامس مع المسيح هناك على الطبيعة ، إن الملاك اعطى علامه المسيح للرعاه « طفلاً مقمطاً مضطجعاً فى مذود » هى فى الواقع علامه منتهى الفقر والعوز ، لأن الوحيد بين البشر الذى ولد فى مذود هو المسيح الاله ، لم ينزل انسان الى قمه الاتضاع هذه مهما كان فقره ، فأولاد المعرمين وجدوا مأوى فى منزل ، أما المسيح المولود فى بيت لحم فقد تجاوز كل تصورات بنى البشر من حيث الفقر ، حتى لم يعد بمقدور إنسان فى العالم أن يصل الى هذا الحد من العوز ، أى أن المسيح بميلاده فى المذود اختار بنفسه المتكأ الأخير الذى ليس دونه متكأ آخر حتى لم تعد فرصة لانسان ما على الأرض أن يشتكى من الفقر والعوز والمهانه إلا ويجد المسيح شريكا له بقسط أوفر مما يتصور خيال الانسان وعقله . لكى يرفع المسيح بفقره عن كاهل الانسان نير الفقر والفاقه ، ويغنى الذى يقبل

اليه بغنى الروح فلا يعود يعوزه شيء من هذا العالم « تعلمون نعمه ربنا يسوع المسيح الذى من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم أيضا بفقره » .

فالآن لنطرح عنا زيف الثياب الفاخرة ، ونسعى سعياً عملياً نحو مذود المسيح حتى إذا ماتلامسنا مع علامة المولود ينفجر فينا الفرح بميلاده حقاً إذ نكون قد تعرفنا عليه وكما يريد هو .

+ هيا بنا إلى الأكواخ الحقيرة فى أطراف المدينه ، الى سكان العشش والحجرات الصفيح فوق أسطح المنازل ودعنا نتلامس عن قرب مع هذا النوع من الحياة ، ليس المطلوب منا مجرد تقديم العون الاجتماعى وبحث حاله هؤلاء ، أو مد يد المساعده بمال أو عطايا عينيه ، هذا عمل اجتماعى بحت أما هدفنا الواضح الذى لايغيب عن ذهننا لحظة هو شخص المسيح نفسه .

نحن نسعى نحو هؤلاء لعلنا ندرك المسيح ، مسيح المذود وأين المسيح من هؤلاء ؟

المسيح مخفى فيهم ، هؤلاء هم أعضاء الكنيسة ، فى عرى وجوع وعطش ، والمذود ليس ببعيد عن هذه المواقع ، بل يصير محسوساً وملموساً .

لا يكفى أن يظل الانسان فى ملابسه الانيقة وفى بيته الفاخر

ومسراته المتنوعة ونظافه كل ماحوله .. ثم يلقي ببعض العطايا تفضلاً الى هؤلاء ، ويرتاح ضميره لأنه تبرع بمبلغ من المال أو بعض الفضلات المادية .

ليس الموضوع هكذا كأن الله محتاج إلى عطايانا ، هذا الوضع يزيد كبرياء الأغنياء إذ هم يشعرون بعلو مكانتهم وقدرتهم على العطاء ويضاعف احساس الفقراء بالفارق الرهيب بينهم وبين الأغنياء ويزيد فى مذلتهم ومهانه بشريتهم .

+صلب الموضوع إذن هو شخص المسيح ، حين يسعى الأغنياء باحساس عميق فى النفس بحاجتهم الملحه للوصول إلى المسيح والتلامس معه واحساسهم بفقرهم الشديد ومسكنتهم فى الفضيله حين يسعون نحو المذود لا للعطاء بل كأنه للأخذ ، ولا بروح التعالى بل بانسحاق الذى يبحث عن الملك المولود ليقدم هناك سجوده ويلقى بكنوز الذهب تحت قدمى المولود مع شركة مر الآلام وبخور لبان الصلاة .

الشعور بالاحتياج هو الدافع والمولود هو الهدف هنا تتقابل المشيئة التى فى داخلنا مع مشيئة المسيح الذى جاء يبحث ويفتش ويطلب ماقد هلك .

تقابلنا مع المعدمين والمجروحين والمسحوقين ، والمحسوبين أنهم

غرباء عن المجتمع والضعفاء ، والفقراء جداً ، بروح اتضاع وانسحاق لنأخذ منهم ونرى المسيح فيهم ونتلامس مع علامه ابن الانسان من خلالهم .. هذا التقابل يفجر ينابيع الفرح فينا ووعد المسيح قائم « أن ما فعلتموه باحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فبى قد فعلتم » .

إذن نحن نرى المسيح ونتلامس معه ونعبده ونقدم له السجود كما يليق ونخدمه من خلال تلامسنا عن قرب مع أعضاء جسده المتأله فى أشخاص المجربين .

الاقتراب والتلامس :

ولماذا نتعامل مع هؤلاء الناس عن بعد ؟ اليسوا هم جسم بشريتنا الذى لم يستح المسيح ان يشاركنا فيه؟ إذن لاتستنكف من منظر الفقراء ولا تتضجر اذا لمست مريضاً أو مجزوماً أو ذو عاهه .. إقترب منه إنه ذات الجسد الذى تلبسه .. هو هو ، وذات الطبيعة البشرية ولكن فى حال هوانها وضعفها الطبيعى .

إذن ليست هى دواعى الشفقة أو المشاعر الانسانية التى قد تدفع أى انسان لعمل اجتماعى وليس مجرد صنع الرحمه والتفضل ، بل هى مقابله مع المسيح وتعرف عليه وحب قلبى لجراحاته وايمان عميق برؤيه المسيح وحضوره لذا فان هذا السعى يصير عملاً روحياً يأخذ فيه الانسان من ملىء المسيح نعمة عوضاً عن نعمه .

علامة إبن الانسان :

الا تعلم أن هذه العلامه صارت لنا ؟

قال الملاك للرعاه « هذه لكم العلامه » .. وقال سمعان الشيخ « ها إن هذا قد وضع لقيام وسقوط كثيرين.. **ولعلامه تقاوم** » .

وفى مجىء الرب الثانى يقول « حينئذ تظهر علامه إبن الانسان فى السماء » . العلامه إذن هى الصليب الذى صار لنا قوة وخلاصاً ..

هذه العلامه مقاومة من كثيرين ولكنها مقبوله من محبى اسمه . هذه العلامه هى عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين هى قوة الله . إن خدمة الذين يحملون الصليب « إن كان فقر أو عوز أو مرض أو .. الخ » هى توضيح مجد الصليب وكرامه الصليب أمامهم لا لمجرد الصبر على التجارب واحتمال المشقات .. بل الكرازة بكلمات المسيح « أفرحوا وتهللوا .. لأن أجركم عظيم فى السموات » .

ماذا عمل المسيح فينا ؟

لقد وحَّدنا المسيح فى جسم بشريته ، وصالحنا ، أى جعل فينا خدمه المصالحه ، ولذلك فالكنيسه واحده ونحن جميعنا أعضاء جسد واحد وأن كنا أفراداً متميزين هذا ينقلنا إلى معنى روحى غايه فى العمق ونحن نقترب نحو فقراء هذا العالم ، أخوه المسيح الأصاغر .

لابد لنا أن نتيقن فى أنفسنا أنهم من صميم تكوين جسد المسيح ، أى أنهم أعضاؤنا ، وبدونهم لا نستطيع أن نعيش .

القرابة الجسدية ، تشعر الانسان بنوع غريب من الانتماء والداله والتعاطف ، ومنظر القريب — بحسب الجسد — وهو مريض أو مسجون أو مهان أو فقير ، تثير العواطف وتذرف

الدموع ويتحرك الانسان للنجده والمشاركه مهما بلغ الأمر من تعب أو مشقه ـــ إنه رباط البشر ، وعلاقات اللحم والدم ومن يستطيع أن يتحلل منها؟ أما إذا ما بلغنا بالروح قصد المسيح المولود فى المذود فاننا فى الحال ندرك مقدار مايربطنا بهؤلاء جميعا ، من ربط المحبه الالهيه ، وسقى الروح الواحد ، والجسد الواحد الذى هو الكنيسة .. وهذه الأمور هى أعلى بما لايقاس من كل رباط جسدى مادى ، بقدر ماترتفع الروح عن الجسد .

هنا يبلغ اقترابنا من المذود وتلامسنا مع أعضاء المسيح المتأله مبلغ الروح والحق .

فى هذه الحالة لا تأفف ولا تذمر ، ولا ضيق صدر ، ولا اشمئزاز ولا احتقار .

حيث لا إشمئزاز من الثياب الباليه والحجرات المظلمه ورائحه الفقراء ولا تأفف من طرق حياتهم التى تبدو حقيره فى كل شيىء ولاضيق صدر من كثره الحاحهم وكثرة طلباتهم ..

بل تصير أمورهم كلها قريبه من النفس ، فالجلوس إلى مائدتهم المتواضعه يصير اشهى من الجلوس إلى موائد العظماء ، ورث ثيابهم **يصير كأنه أفخر** من ثياب الوجهاء والمعتبرين .

+ الموضوع ليس إزاله الفوارق الاجتماعيه ، بين الأغنياء

والفقراء هذا ليس عمل الكنيسة ، وقصد المسيح ، **ولكن هو إزالة الفوارق الروحيه من داخل النفس ، فتعرف النفس بالمسيح حقيقه ذاتها مجرده من المظاهر الخارجيه وهكذا فى نور المسيح ستعرف كل النفوس ، أغنياء كانوا أم فقراء .**

ومعرفه النفوس مجرده ، كنفوس مات المسيح عنها ، واختارها لتكون أعضاء فى جسده ، يزيل فى الحال التحيز والتمييز القائم على كل المظاهر الخارجيه من ناحية الجسد فى الجمال أو القبح ، الغنى أو الفقر ، اللون والجنس .. الخ .

+ أختار الله فقراء هذا العالم .. اختار المذرى وغير الموجود .. اختار الضعفاء .

ياليت أرواحنا وهى مؤازره بالنعمه تسعى أيضا هكذا نحو المختارين من هذه العينات الضعيفة ، بحاسه روحيه مرهفه وادراك ومعرفه ، مثل المجوس الحكماء الذين سعوا دون تعب يرشدهم النجم حتى جاء ووقف حيث كان الصبى ، هناك فتحوا كنوزهم وهناك قدموا هداياهم ، وقبلها الرب رائحة سرور وباكوره تقدمات العهد الجديد .

ليكن عيد ميلاد ربنا ، بدايه لخدمه أكثر إتساعاً للفقراء والمساكين ، خدمه بالروح والحق ، تكون مقبوله عند مخلصنا .

٣ ــ أخذ صورة العبد

(عيد الميلاد ١٩٧٢)

التجسد اخلاء للمجد وتنازل الهى ارادى :

« عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد » ١ تى ٣ : ١٦ .

إن ظهور الله فى الجسد يعتبر بالدرجة الأولى تنازل إلهى عجيب وإخلاء ، وترك للمجد بحسب التدبير الإلهى .. حتى أن الله غير المدرك فى كمالاته الإلهية يضع نفسه ويظهر كأنه محدود كباقى العبيد ، ويدخل دائرة حدود الانسان فى الحس واللمس والبصر ، مع أنه غير مدرك وغير محسوس وغير مرئى . وهذا الأمر ليس مستحيلا على الله بل هو اختيار وتدبير لأن كل شىء مستطاع لديه ، وهو أيضاً ليس انتقاصاً لكمالاته الإلهية ولا هو إحطاطاً للذات الإلهية .. ولكن بالأكثر تأكيداً حقيقياً لمحبة الله غير الموصوفة . لأن نزول الملك عن مجده لمشاركة العبيد لا ينتقص من ذات الملك شيئاً ولا من كرامته لدى شعبه بل تصير مشاركته للعبيد فى المسكن والمأكل والملبس الحقير .. والمعيشة المتواضعة سبباً حقيقياً لكرامة الملك ومحبته وتوقيره .. ورفعاً لمكانة العبيد .

فالتجسد بالنسبة لله هو مشاركة للعبيد « إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً فيهما » عب ٢ : ١٤ . مشاركة حقيقية فى كل شيء كمن يحمل آلام محبيه ونزول إرادى إلى حضيض الانسان بقصد رفعه حتى يمين الآب ، « هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له » من التسبحة .

شهادة الروح القدس للمسيح :

من اللحظات الأولى التى دخل فيها الله الكلمة دائرة الاخلاء ، ليظهر فى صورة العبد متألماً بآلامه ، حاملا نيره .. ضعيفاً بكل ضعفاته مشتركاً معه فى كل شيء « ماخلا الخطية وحدها » .

من هذه اللحظات والروح القدس يشهد لمجد المسيح الحقيقى ويعلن لاهوته المخفى للعالم باعلانات إلهية عجيبة ، ومن هذا ندرك معنى كلام السيد المسيح أنه لا يشهد لنفسه لأنه فى حال الاخلاء ، فكيف يشهد عن نفسه ؟ ولكن الروح القدس فى عمل أزلى أبدى ، بفعل مستمر ، يشهد لمجد المسيح ويظهره للعالم ويمجده بلا توقف ولا سيما فى اللحظات التى يظهر فيها السيد المسيح ضعيفاً بضعف طبيعتنا . ويمكننا أن نلاحظ كيف أن الروح القدس لا يكف عن الشهادة من اللحظات الأولى للبشارة بالتجسد الإلهى حتى قيامة السيد المسيح من الأموات

ممجداً بمجده الأزلى الذى له عند الآب قبل الدهور ، وشهادة الروح القدس كانت ببرهانه الروحى فى القلب والضمير فى الداخل وفى العلن أيضاً ، فى جميع اللحظات التى ظهر فيها السيد المسيح عبداً تماماً كباقى العبيد فى صورته وصبره وضيقه وآلامه ودموعه .

« الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة » عب ٢ : ٩ .

+ أن صورة الضعف .. فى المسيح تحمل فى طياتها مجد ألوهيته وسلطانه الفائق .. ان مجده كان مخفياً عن أعين الناس معلناً بالروح القدس ولكن فى سر عجيب .

+ الروح القدس هو الناطق فى الأنبياء ، المخبر بلاهوت السيد المسيح وكماله ..

لذلك بدون اعلان الروح القدس ، يظل الانسان عاجزاً عن ادراك سر المسيح ، لايرى فى المسيح إلا انساناً عادياً ـــ كباقى العبيد .. لذلك نجد من العسير جداً بل ومن المستحيل أن يدرك الانسان بذاته لاهوت المسيح بدون اعلان الروح « ليس أحد يقدر أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس » ١ كو ١٢ : ٣ .

فى البشارة :

إن اللحظات التى شهدت الملاك غبريال المبشر حاملا بشارة الاخلاء وتنازل الله ونزوله إلى بطن العذراء القديسة فى سر عظيم ليمارس إتضاعه .. كانت أيضاً لحظات شهادة الروح القدس على فم الملاك أن « المولود منك قدوس » .. لحظة البشارة بانه يصير إبناً للانسان مولوداً من إمرأة تحت الناموس .. هى لحظة الشهادة بانه « يدعى ابن الله » .

إن الصورة الأولى للضعف فى بداية الحمل ملتحمة بشهادة صادقة عن مجد لاهوته منطوقة من الملاك « الذى وضع قليلا عن الملائكة (كجنين) نراه مكللا بالمجد والكرامة (كإبن وحيد للآب مملوء نعمة وحقاً) .

وفى اللحظات التى يثير فيها العدو الشيطان حرباً فى ضمير يوسف البار خطيب العذراء القديسة لكى يجد علة من ضعف المسيح الجنين ليشتكى عليه ، فى هذه اللحظات أيضاً تصير شهادة الروح القدس القاطعة ، فى داخل يوسف فى رؤيا الليل « لاتخف .. الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » مت ١ : ٢٠ . إن صورة الحبل بالسيد المسيح فى ضعف إنطوت على مجد مخفى أعلنه الروح القدس وشهد له .

زيارة اليصابات :

عندما تقابلت القديسة العذراء مريم حاملة للسر الإلهى فى بطنها محجوزاً عن معرفة الناس جميعاً .. نرى جلال اللاهوت معلناً حتى ليوحنا الجنين الذى تحرك ممتلئاً من الروح منبهاً اليصابات أيضاً أن ترفع العذراء القديسة من أجل كرامة ألوهية جنينها .

ياللعجب إن المسيح الجنين « فى صورة العنف » هو هو المسجود له من الأجنة فى بطون أمهاتها قبل أن ترى النور .. وهو المسبح من الخليقة المنظورة .

إن الكنيسة المقوده بالروح تكشف الغطاء عن هذا الضعف الظاهرى لتشبع أولادها من ينبوع كرامة التجسد الإلهى حينما تقول فى تسابيح التجسد عن العذراء « أقدامك عجلات نار فى بيت اليصابات » .

ماذا نرى فى زيارة العذراء لاليصابات .. حسب الظاهر منظر عادى وضعف بشرى إلى أقصى الحدود .. فتاة صغيرة حامل بجنين تزور امرأة متقدمة فى أيامها وتدخل بيتها وتسلم عليها ..

ولكن الروح القدس يكشف سر هذا المنظر العجيب كأنه رؤية حزقيال النبى تماماً .. العذراء القديسة صارت كرسى للملك

العظيم والكاروبيم يحملونها .. لتدخل بيت اليصابات محمولة على الكاروبيم « أقدامك عجلات نار .. » بين تسبيحات الملائكة وسجود البشر (يوحنا واليصابات) ، شهادة الروح بربوبية الجنين الذى جلس على عرش تواضعه .. ياللعجب إن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة .

ميلاده العجيب :

السيد المسيح وهو يكمل إخلاء الذات فى ميلاده البسيط والمتعجب منه بالمجد إختار لنفسه أن يولد مجهولا من الناس ، مرذولا ، ليس له مكان ، فى حالة إخلاء كامل حتى من أقل المستلزمات التى للعبيد .. بالحق نراه وضع قليلا عن الملائكة .. إن الذى يقف بجوار المذود والطفل المقمط المضطجع ، يدرك كم وصل السيد المسيح الى منتهى الضعف الانسانى ..

ولكن فى ذات اللحظات نراه ممجداً من الملائكة بمجد لا يوصف وعبادة لا تنقطع من ملائكته القديسين « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

أنه مضطجع فى المذود ومسبح من الملائكة فى الأعالى .. أنه ولد ولكنه مخلص شعبه من خطاياهم .

وفى الأيام التى يقال فيها أنه ولد كباقى الأولاد يكشف الروح

القدس فى نبوة أشعياء النبى « يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » أش ٩ : ٦ .

الختان :

لقد وضع نفسه تحت القانون وهو واضع القانون لكى يكمله عن الانسان الذى عجز عن تكميله .. وصار ضعيفاً كطفل محمول إلى الهيكل فى اليوم الثامن يسمونه كباقى الأطفال ويدعونه باسم . وهنا يظهر مجده المخفى « يدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » مت ١ : ٢٣ ، « يدعى اسمه عجيباً » . « تدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .. » مت ١ : ٢١ . « ليس باسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع .. » أع ٤ : ١٢ .

منتهى الضعف كطفل صغير ابن ثمانية أيام وهو أبدى مخلص شعبه بذراع قوية ويد أبدية غير مغلوبة .. وضع قليلا عن الملائكة ، نراه مكللا بالمجد والكرامة .

الدخول الى الهيكل :

بعد أربعين يوماً حسب الشريعة والناموس دخل الطفل محمولا على الذراعين ، رضيع اللبن محتاجاً لمن يعوله ويحمله .. ضعف

ما بعده ضعف ، يقدم من أجله ذبيحة كباقى العبيد .. وفى ذات اللحظات التى يتجلى فيها مجد الاخلاء فى الطفل المحمول على ذراعى سمعان الشيخ ـــ الذى حركه الروح القدس للشهادة العجيبة ـــ وهو يحمله على ذراعيه (فى ضعف) يباركه ويقول له : ياسيدى (فى مجد) . وهو يراه طفلا يبهره نور لاهوته الذى لايرى « نوراً تجلى للأمم » . وهكذا أيضاً يحرك الروح القدس إمرأة متعبدة (حنة النبية) بأصوام كثيرة منتظرة رجاء الأمم لكى تسجد للطفل الإلهى كشهادة سجود لا تزول .

زيارة المجوس :

عندما نتأمل الطفل يسوع ينمو قليلاً قليلاً بشبه البشر لايغيب عن أعيننا منظر المجوس الحكماء الباحثين باجتهاد عنه من أجل تقديم السجود والشهادة الفائقة التى للنجم الفريد الناطق بمجد لاهوته المخفى فى جسم بشريته .

إن صور الضعف متلازمة مع شهادات ملكوته السماوى . وضع قليلا عن الملائكة ، نراه مكللا بالمجد والكرامة .

الهروب إلى مصر :

على أن منتهى لاخلاء يظهر أيضاً فى هذه الرحلة العجيبة التى سلكها الرب هارباً من وجه هيرودس كمن يطلب النجاة فى

ضعف ، ولكن مجد لاهوته وقوته الفائقة وسلطانه على كل حى ترافق أيضاً صورة الضعف فى الاعلانات السماوية التى رسمت خط السير فى حياة يوسف البار بل إن الروح القدس سبق فشهد فى فم أشعياء عن التدبير الإلهى ـــ الذى يحير الأذهان ـــ والقصد الأبدى من هذه الرحلة التى التحفت بصورة الضعف كحتمية الاخلاء .

« هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه .. فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر .. ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً فيرجعون الى الرب .. بها يبارك رب الجنود قائلا « مبارك شعبى مصر .. » اش ١٩ .

السحاب دائماً يرافق ظهور الله معلناً عن مجده كحضرة إلهية محوطة بالمجد .. ان داخل رحلة الهروب الضعيفة قصد إلهى مملوء مجداً وملكوت للمسيح من يدرك سره . الذى دخل مصر هارباً نراه محطماً أوثانها والشيطان يهرب أمام موكبه الملكى ونراه يرد إليه قلوب المصريين ويقتنى له شعباً مباركاً .

ابن اثنتى عشرة سنة :

صعد القديس يوسف والسيدة الطاهرة العذراء إلى الهيكل كعادتهم كل سنة واصطحبا معهما الصبى يسوع ، فلما

انقضت أيام العيد ورجعا ، بقى الصبى يسوع فى الهيكل وبعد مسيرة يوم افتقده أبواه بين الرفاق من الصبية — لأنه كان محسوباً كواحد منهم — فلم يجداه .. فعادا سريعاً إلى الهيكل يبحثان عنه كمفقود .

ولما وجداه فى الهيكل قالت له العذراء القديسة (يابنى لماذا فعلت بنا هكذا ؟) هوذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين .. فنزل معهما .. وكان خاضعاً لهما .

يا لهذا المنظر العجيب الذى احتجز وراءه مجداً لا تسعه سماء السماوات . نعم هذا هو الاخلاء .. صبياً محسوباً كواحد منهم .. كمفقود يبحثون عنه ، ثم خاضعاً لكلمات الأم الحنون .. ثم راجعاً فى خضوعه المذهل .

ولكن فى ذات المنظر يكشف الروح القدس عن مجد لاهوته المخفى لنرى أن كل الذين سمعوه بهتوا من فمه وأجوبته . ونراه يقول للعذراء لماذا كنتما تطلبانى ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون ما لأبى ؟

أنه صاحب الكرم يسأل الكرامين (فى زمان الاثمار) عن الكرم ، ويطلب ثمراً لله أبيه . وإذ يجدهم أفسدوا التعليم ولم يأتوا بثمر يأخذ منهم الكرم ويسلمه لآخرين يصنعون ثمراً .

كانوا يبحثون عنه وهو جالس يبحث عن الخليقة الضائعة وعن خيمة داود الساقطة ليقيم ردمها .

كان خاضعاً لهما وهو الذى تخضع له كل الخليقة الناطقة وغير الناطقة .

عند نهر الأردن :

تختلط المناظر على شاطىء نهر الأردن حتى أن منتهى المجد والشهادة للاهوت السيد المسيح يصير واحداً مع الشهادة باخلائه لذاته واتضاعه .

حمل الله الوديع حامل خطية العالم كله يدخل وسط صفوف الخطاة ويتقدم إلى يوحنا المعمدان كمن يطلب توبة يحنى رأسه ليقبل العماد .

هذا هو الحب العجيب فى اتضاع إلهنا ..

يوحنا صرخ يشهد بلاهوته كما شهد من قبل وهو جنين « لست مستحقا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » .. وحتى مياه الأردن نفسها تأخذها الرعدة « مالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف » مز ١١٤ : ٦ .

من عند شاطىء الأردن بدأ السيد الرب خدمته الجهارية معلناً فى ضعفه للعالم كخادم شهادة وحامل خطية الناس ومن شاطىء

الأردن نفسه وفى ذات الوقت أعلن ابن الله للعالم بصوت الآب وحلول الروح بهيئة جسمية كاملة « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

لحظات تسميها الكنيسة الظهور الإلهى واستعلان المجد الأزلى .

فى التجربة على الجبل :

مثل عبد ، يصوم ويصلى .. وأخيراً جاع .. ويتقدم اليه المجرب ليجربه كباقى إخوته بشهوة الطعام ، ومجد العالم ، كرامة الذات ..

لكننا نرى بوضوح كمال مجده الإلهى مخفياً فى صورة ضعفه الانسانى بفعل سرى يشهد له الروح ويظهر للعالم .

الذى صام يقول ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .. الذى سلم نفسه للمجرب يكشف حيله ويكسر شوكته .. الذى جاءه المجرب ليمتحنه تركه ثم جاءت الملائكة لتخدمه .. حتى الوحوش كانت تدرك سر مجده المخفى لم يكن السيد ضعيفاً ضعفاً مطلقاً مجرداً من القوة .. ولكن ضعفه كان يخفى قوة لاهوته حسب مسرة إرادته .. لأنه أخلى ذاته

ولن يظهر قط ضعيفاً فقط .. ولكن صار ضعفه حجاباً لقوته الإلهية .

فى تعاليمه المحيية :

إنه يتكلم كباقى المتكلمين .. كانسان يتكلم ويعلم ويعظ .. ولكن لا ليس كباقى الناس إنه يتكلم ، ولكن بسلطان إلهى .. حتى ان الذين سمعوا قالوا « ماسمعنا قط مثل هذا » انها كلمات ينطق بها من شفتيه ولكن « انسكبت النعمة على شفتيه » .. حلقة حلاوة وكله مشتهيات ..

أنه يقول أمثال وتشبيهات ، ولكنها كانت تتحقق فيه . انها الفاظ عادية ولكن « الكلام الذى أكلمكم به روح وحياة » . أنه يعلم عن الحياة الأبدية ..، ثم يقول « أنا هو الحياة » . يقول مثلا عن الراعى ، ثم يقول « أنا هو الراعى الصالح » . يتكلم عن كنز وجده انسان فى حقل ، ولكنه كنز مخفى .

مع السامرية :

تعب وجلس عند بئر سوخار فى حر النهار بعدما مشى ست ساعات ولكن استراح فى قلب السامرية .. طلب أن يأكل ولكن لما قدموا له طعاماً قال « لى طعام آخر لستم تعرفونه » .. طلب من السامرية أن يشرب ولكن « قال لها أعطيك ماء الحياة » .. « سأل عن زوجها » وقال لها « لك خمسة أزواج » .. أمور غاية

فى الغرابة محيرة لمن لم يدرك سر تجسده العجيب .

مع زكا العشار :

هل كان زكا يبحث عنه .. أم هو يبحث عن زكا .. زكا يركض ويركب جميزة .. ويسوع يناديه ليذهب معه إلى بيته .. زكا يدخله فى البيت كضيف وانسان غريب وهو يهب الخلاص لأهل هذا البيت ويعيد له مجد النبوة ..

أخذ شكل العبد وبارك طبيعة العبيد ورفع حياتهم من المزبلة .

الأعاجيب :

فى جمع الأعاجيب كان يظهر إنساناً كاملا حاملا ضعف طبيعتنا ملتحفا بها ليخفى بها مجده غير المنظور ولا منطوق به .

« انه يدفع الجزية كباقى العبيد ، ولكن يخرج الأستار من فم السمكة » مت ١٧ : ٢٤ ــ ٢٧ .

« يطلب خمسة خبزات لأكل الجموع ، ولكن يكثر الخبز فيشبع خمسة آلاف » مت ١٤ : ١٣ ــ ٢١ .

« يطلب ثمرة من التين لكى يأكل ، ولكن إذ لايجد ثمراً يلعنها فتيبس من أصولها » مت ٢١ : ١٨ ــ ٢٩ .

« ينام فى السفينة كمن فى غفلة ، ثم فى نفس الوقت ينتهر

الريح ويسكن الموج فيطيعانه » مت ٨ : ٢٣ .

بالحقيقة نراه وضع قليلاً عن الملائكة ، ولكن مكللا بالمجد والكرامة .

آيات الشفاء :

ان آيات الشفاء والمعجزات التى صنعها الرب بيديه الطاهرتين وهو يجول يصنع خيراً ويشفى كل مرض وكل وجع فى الشعب ترفع الغطاء لتكشف لنا قلب الله حامل مسئولية أولاده ، والمهتم جداً بأحوالهم وترينا كم تألم بآلامنا متضايقاً بضيقنا . وهو ذا أشعياء يقول « فى كل ضيقتهم تضايق وملاك حضرته يخلصهم » . إن كل مريض كان يجد فى المسيح المبارك انساناً نظيره ، لأننا نسمع عنه أنه رجل أوجاع وفيه يجد حنان أبوه الآب وحضنه ويجد حياته المفقودة .. فى الحياة الأبدية التى أظهرت لنا فى جسد انسان .

ففى قصة المرأة نازفة الدم يظهر المسيح مضغوطاً من كل ناحية بجماهير الناس ولكنه يقول من لمسنى .. ويفكر الجميع وتعترف المرأة .. ويقول ان قوة خرجت منى ، ويشهد الروح القدس « قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع » .

وعند بركة سلوام .. يقول المريض ليس لى انسان .. ويجد يسوع يشفيه دون تحريك الماء ونزول الملاك ..

لقد استعلن الله للعالم المتوجع فى يدى يسوع الشافيتين الحانيتين وفى عينيه الباكيتين .

حقاً لم يعد الله ــ فى المسيح ــ بعيداً عن العالم متجاهلاً أمراضه وأتعابه . بل صار متلاحماً معه وصار العالم فى المسيح مدركاً باحساس حقيقى كرامة مجد الله وسلطانه وحنوه وحبه .

وعندما فتح عينى المولود أعمى .. احتاج إلى الطين .. وإلى ماء بركة سلوام ..

وعندما أخرجوا الرجل وطردوه من المجمع .. بحث عنه يسوع ووجده .

وحينما طلبوا منه أن يمجد الله .. سجد ليسوع وامن به إلهاً حقيقياً ونوراً مضيئاً لكل انسان آتياً إلى العالم .

فى اقامة الأموات :

عند قبر لعازر وقف يسوع المسيح يتطلع إليه جماعة المعزين من اليهود مع مرثا ومريم أختى الميت .. وملأت الدموع عينى يسوع وهو يتطلع إلى القبر مغلقاً على لعازر كحكم الموت .

ومن يتطلع إلى جماعة المحيطين بالقبر يدرك مدى خيبة الأمل واليأس ، ويدرك أيضا مقدار الضعف الذى نظروه فى يسوع من تعبيرات الكآبة والدموع .. « أنظروا كيف كان يحبه » . ويدرك أيضاً مقدار الأمل المعلق على شخص المسيح المبارك من الهمسات الخفيفة « ألم يقدر هذا الذى فتح عينى المولود أعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت » ويقول يسوع : ارفعوا الحجر .

ومن داخل الدموع والضعف الملتحف بهما تخرج كلمة الحياة من شفتيه إلى الميت المنتن فتحييه .

ما كان للإنسان أن يدرك سر الحياة إلا فى المسيح عندما نظره يحى المنتن من القبر ... « الحياة أظهرت » . هكذا شهد الروح القدس « فيه كانت الحياة » .. استعلان منظور للحياة ومستور بصورة الضعف والذل والدموع لكى يقترب الانسان إلى الحياة فيحيا ولا يموت .

« من آمن بى ولو مات فسيحيا ومن كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » .

أما جمهور المعزين فلما رأوا ما صنع يسوع آمنوا به ..

وهكذا أيضاً فى إقامة ابن أرملة نايين .. تحنن فى عطفه الأبوى المنسكب على الانسان كل حين ووقف يلمس النعش .. وينادى الميت ويدفعه إلى أمه .

ماأعجب اسمك على الأرض كلها ..

فى آلامه :

أن الأيام التى كمل الرب فيها بالآلام خلاصنا .. متوجعاً ومتألماً ونائباً عن البشرية كلها حاملا بخطاياها .. دخل بارادته الى ضغطات الآلام بلا حساب حتى الموت وانسحق باقسى أنواع العذاب حتى رآه النبى عظيماً كدائس المعصرة .

نراه يقدم بصراخ شديد ودموع من اليوم الذى دخل فيه أورشليم الى الساعة التى اسلم الروح فيها على الصليب .

فى تمام الاخلاء ، ويكفى ان ننظر اليه فى بستان آلامه يبكى ويتوسل ، يئن ويتوجع .. ويركع على الأرض العراء ويتصبب وجهه كقطرات دم نازلة من جبينه .. ويكفى أن تتأمله خلال التعبير العجيب « ان الرب وضع عليه إثم جميعنا » « أما الرب فسر بأن يسحقه الحزن » .. أنظر إلى خهروجه من البستان ليسلم نفسه كحمل لطيف تلقفته جماعة من أشرس الذئاب تتحسس فيه مواضع النهش .. إلى الخمس محاكمات فى غسق الليل .. إلى القيود والشهود الزور إلى رئيس الكهنة الذى مزق ثيابه .. ووقوفه أمام هيرودس كمحكوم عليه بالموت ومحتقر ومخذول من الناس .. إلى مستهزئى به من الكتيبة كلها وعريان بلا حياء فى هزء كثير .. إلى .. إلى الصليب .. إلى الضحكات والاستهزآت .. إلى

تنغيص الرأس وفغر الأفواه الشريرة .. إلى الخل الممزوج بالمر .. إلى الغصة والدوار وتسلم الروح .. أخيراً إلى الموت ضعف .. بل ومنتهى الضعف ..

ولكن الروح القدس المعزى رافق الآلام بالاعلانات .

فكما لبس صورة العبد والتجسد بها دون أن تنقض من لاهوته ولا من كرامته الالهية هكذا قبل أن يحمل خطايانا فى جسده دون أن يتسخ بوساختنا ودون أن يقال عنه أن صنع شراً أو وجد فى فمه غش .. أنه أمر سرى وعجيب .

« لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلصنا » . لقد سلم نفسه للآلام بذاته وكسر جسده يوم العشاء الكبير بيده وسلمه للتلاميذ « خذوا كلوا جسدى .. الذى يقسم عنكم » . وسفك دمه عن حياة العالم طواعية وبكامل اختياره « خذوا اشربوا هذا هو دمى الذى يسفك عنكم وعن كثيرين » .

وفى بداية الآلام يقول « يسوع وهو عالم بكل مايأتى عليه » .

ماأعجب هذه الأمور .. نراه ضعيفاً وضعيفاً جداً ولكن ممجداً بمجد الله فى كل حين .

قيامته المقدسة :

ان القيامة المقدسة من الأموات هى أيضا منظر ختامى من مناظر الاخلاء الذات بعدما غلب ، بعدما قدم نفسه فدية عن كثيرين .. بعدما أتى بأولاد كثيرين إلى المجد ، بعدما جعل الاثنين واحداً وأصلح السمائيين مع الأرضيين ، بعدما قدم بنفسه تطهيراً عن خطايانا ، بعدما داس الموت وكمل الخلاص . بقى أن يأخذ مجده الذى له عند الآب المساوى له مع الروح .. ولكن أيضاً القيامة من الأموات كانت بيمين الآب لكى يتمجد الآب بالإبن .. ولكى تكلل البشرية كلها .. « إقامة الله من الأموات » .

ان كان قوة القيامة من الأموات كانت حاضرة فيه لأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ، ولكنه لم يمجد ذاته بل أخلى ذاته .. وهاشهادة نقوديموس ويوسف الذى من الرامة عندما سمعاً مع التلاميذ تسبيحات الملائكة حول جسد الرب الميت الحى إلى أبد الابدين .

وها موت المسيح سبب العبادة فى السماء وعلى الأرض « كنت ميتاً وأنا حىّ » يسبحون فى السماء ويقولون « لأنك ذبحت واشتريتنا .. » .

الناشـــر

المراسلات / ص . ب : ١٧
الابراهيمية ـ اسكندرية